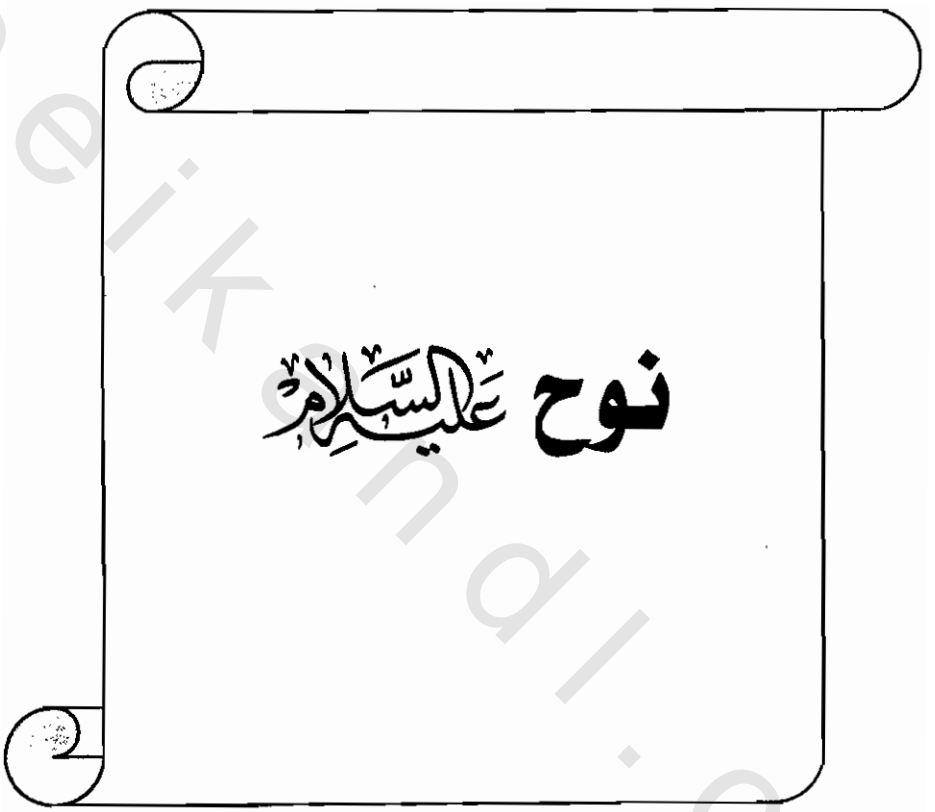

obeikandl.com

obeikandl.com

نـوح عليه السلام

هو نوح بن لامك بن متوشلح بن إدريس، يمتد نسبه إلى آدم أبوالبشر عليه السلام، وكان بينه وبين آدم ألف سنة؛ لِما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان بين نوح وآدم عليه السلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين(١).

وهو عليه السلام أول أولي العزم من الرسل.

وهو أول رسول يحذر من الشرك وعبادة غير الله عز وجل، إذ كانت أمته أول الأمم المشركة على وجه الأرض.

وكان عليه السلام نجَّاراً، دقيق الوجه، طويل اللحية.

عبادة الأصنام:

مكث البشر بعد آدم قروناً طويلة، وهي أمة واحدة على الهُدى، ثم اختلفوا، وأدخلت عليهم الشياطين الشرور المتنوعة.

وكان يوجد في قوم نوح أُناس صالحون، وبعد موتهم حزنوا عليهم حزناً شديداً، فجاءهم الشيطان وأمرهم أن يُصوِّروا تماثيلهم؛ ليتذكروا بها أحوالهم ويقربوهم من الله عز وجل.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٢/٥٤٦)، وقال: صحيح على شرط البخاري.

فلمَّا هلك الذين صوَّروهم جاء من بعدهم أُناس يجهلون حقيقة هذه الأصنام ولماذا صنعت.

فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء الأصنام ودًّا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا، قد كان من قبلكم يدعونهم ويستشفون بهم، وبهم يسقون الغيث، وتزول الأمراض، فلم يزل الشيطان بهم حتى جعلهم يعبدونها من دون الله.

وهنا بعث الله سبحانه وتعالى نوح عليه السلام إلى قومه؛ ليخلصهم من عبادة الأصنام، فقال لهم: يا قوم، إني محذركم من عذاب الله، ومبين لكم طريق النجاة، فاعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً؛ لأني أخاف عليكم إن عبدتم غير الله أن يعذبكم عذاباً شديداً.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٥، ٢٦].

كما قال لهم نوح عليه السلام: إنكم إن أطعتم الله واجتنبتم السيئات يغفر لكم ما تقدَّم من ذنوبكم ويمهلكم ويمتعكم في الدنيا والآخرة، ولكن إن عصيتم ربكم فإنه لن يمهلكم بل سيُعَجِّل لكم العذاب وسيأتيكم بغتة من حيث لا تشعرون[1].

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [نوح: ٢ ـ ٤].

---

(١) «قصص الأنبياء»، عبدالرحمن السعدي. (بتصرف).

عناد واستعلاء الكفار:

بعد أن خاطب نوح عليه السلام قومه ودعاهم إلى طاعة الله، وأخبرهم أنه لا يطلب منهم أجراً، رفض الأغنياء أن يتساووا مع الفقراء، ولم يؤمنوا، بل وطلبوا من نوح أن يطرد الفقراء الذين آمنوا بالله حتى يؤمنوا هم.

فأجابهم نوح: لست بطارد أحداً من الذين آمنوا استجابة لطلبكم وبسبب احتقاركم إياهم، فهم مُقَرَّبون عند الله وسيلاقون ربهم يوم القيامة فيتولى حسابهم وجزاءهم، أما أنتم فإني أراكم قوماً تجهلون.

لم تؤثر كلمات نوح عليه السلام في نفوس قومه بل ردّوا عليه في عناد قائلين: يا نوح قد خاصمتنا وأطلت في ذلك فإن كنت صادقاً في دعوتك فهات ما تهددنا به من العذاب.

قال لهم نوح: هذا الأمر بيدي الله وحده، فهو الذي يصيبكم بالعذاب إن شاء، لا يمنعه منكم مانع[1].

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٢ ـ ٣٤].

---

(١) «قصص الأنبياء»، عبدالرحمن السعدي. (بتصرف).

يأس نوح عليه السلام من إيمان قومه:

لمَّا بلغَ نوح درجة اليأس من قومه بعد تسعمائة وخمسين سنة من المجادلة، وضاق بهم ذرعاً، لجأ إلى ربه مستغيثاً به مما يلاقي من قومه من إعراض، فقال: يا رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وترك عبادة الأصنام، وقد دعوتهم في كل وقت سواء في الليل أو النهار، فلم يزدهم إلا تمرداً وعصياناً، وإني كلما دعوتهم لعبادتك لتتجاوز عن سيئاتهم وضعوا أطراف أصابعهم في آذانهم كراهة أن يستمعوا دعوتي، وبالَغوا في الإعراض فتغطوا بثيابهم كي لا يروني، ولا يسمعوا كلامي، وهنا توجَّه نوح عليه السلام إلى ربه بالدعاء عليهم فقال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧][1].

امرأة نوح وعبادة الأصنام:

أعرضت امرأة نوح عن دعوة الإيمان، واتَّبعت طريق الضلال، وكانت تقول للناس عن زوجها نوح عليه السلام إنه مجنون، لا يعقل، يتحدث بكلام لا يفهمه أحد، ويتكلم عن أشياء غير ممكنة الحدوث، ويزعم أن الأصنام لا تضر ولا تنفع، وكانت تُخبِر الجبابرة من قومها بمَن آمن مع نوح، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم: ١٠].

---

[1] «قصص الأنبياء»، عبدالوهاب النجار. (بتصرف).

سفينة نوح عليه السلام :

بعد أن ضاقت في وجه نوح عليه السلام كل السُّبُل لإصلاحهم، عندئذٍ لجأ إلى ربه يشكو قومه، فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [نوح: ١١٧، ١١٨].

استجاب الله سبحانه لدعاء نوح عليه السلام، وأراد سبحانه قبل أن يُهلك قومه المكذبين وأن يهيئ له أسباب النجاة، فأوحى الله إلى نوح أن يصنع الفُلك برعاية منه وتعليم من الله.

وجعل نوح عليه السلام يصنع الفلك من أخشاب الشجر، وكلما مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منه، فقال لهم: إن تسخروا منَّا اليوم فإنَّا نسخر منكم إذا وقع الهلاك بكم، وانتهى نوح من صنع السفينة، وكانت طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعاً، وارتفاعها ثلاثون ذراعاً وهو ارتفاع كبير؛ لكي تسع كل المؤمنين والحيوانات ودواب الأرض.

وأمر الله سبحانه نوحاً أن يجمع من كل صنف من الأحياء والحيوانات زوجين ذكراً وأنثى؛ ليحملها معه في السفينة، وكذلك أمره الله أن يحمل معه في السفينة جميع أهله وأقاربه، باستثناء اثنين منهم كَفَرا بالله، وهما: زوجته وأحد أبنائه، كما أمره الله تعالى أن يحمل معه في السفينة المؤمنين من غير أقاربه، وهم قليلون.

أعدَّ نوح عليه السلام الفُلك، وقال للذين آمنوا: اركبوا فيها متيمنين بذكر اسم الله تعالى وقت سيرها ووقت وقوفها.

ثم سارت السفينة بعد أن علا الماء وسط موج بلغ من الضخامة والعلو الجبال[١]، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [هود: ٤٠، ٤١].

نوح عليه السلام والطوفان:

عندما أكمَل نوح عليه السلام بناء السفينة؛ نادى قومه وقال لهم: كل من كان يؤمن بالله يلتحق بنا قبل فوات الأوان، فإن الله مازال يقبل توبتكم، وإذا جاء الطوفان فلا ينجو منه إلا مَن كان معي، ومع ذلك كانوا يستهزئون به. وهنا اقترب الوعد الحق، وجاء أمر الله، وفارَ التَّنُّور، وفتح الله أبواب السماء بماءٍ منهمر، وفَجَّر الأرض عيوناً؛ فاجتمع ماء السماء وماء الأرض؛ ليحصل جرَّاء ذلك الطوفان العظيم الذي قدَّره الله سبحانه لهلاك الكافرين، وارتفعت السفينة فوق الماء، وعلا الموج وغطَّى الأرض.

وغرقت امرأة نوح، لم تركب مع المؤمنين في السفينة، ظنَّت أنَّ بيتها يحميها من الماء، لكن لم يعصمها ذلك من أمر الله.

نجا نوح عليه السلام ومَن معه من المؤمنين جميعهم، ووقاهم الله شرَّ ذلك الطوفان، وغرق الكافرون الساخرون وأهلكهم الله عز وجل[٢].

---

(١) «البدء والتاريخ»، البلخي. (بتصرف).
(٢) «البداية والنهاية»، ابن كثير. (بتصرف).

قال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القمر: ١٠ ـ ١٤].

ابن نوح مع الكافرين:

عندما بدأت السفينة رحلتها، رأى نوح عليه السلام ابنه كنعان لم يركب في السفينة.

فقال له: يا بني، اسمع نصح أبيك وآمِن بالله، وتعالى فاركب معنا في السفينة؛ لتسلم من الغرق ولا تكن مع هؤلاء الكافرين؛ حتى لا تهلك معهم، ولكن ابن نوح لم يستجب لنداء أبيه، وأصرَّ على عصيانه وكفره، وقال لأبيه: سألجأ إلى جبل عالٍ لا يصل الماء إلى قمَّته، فأنجو من الغرق، فردَّ عليه أبوه قائلاً: ليس هناك أية قوة تحول بين أحد وبين الغرق الذي قدره الله جزاء للكافرين.

وصعد ابن نوح إلى قمة الجبل، ولكن لم يعصمه ذلك من أمر الله، وأُغرق وكان من جملة الهالكين.

قال تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: ٤٢، ٤٣].

وهنا جلس نوح عليه السلام يدعو الله لينجي ابنه من الغرق، فقال: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [هود: ٤٥].

فردَّ الله عليه بأنه ليس من أهله، وعاتبه سبحانه في أن يسأله ما ليس له به علم، فاعتذر نوح عن ذلك، وطلب المغفرة والرحمة من الله سبحانه.

واستوت السفينة على جبل الجودي من (ديار بكر)، وخرج مَن في السفينة، وبارك الله فيهم فكثروا ومَلَؤوا الأرض، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات: ٧٧].

نوح عليه السلام عبداً شكوراً:

كان نوح عليه السلام دائم الحمد لله شاكراً لأنعمه، فكان إذا أكل قال: «الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء لأجاعني».

وإذا شرب قال: «الحمد لله الذي سقاني، ولو شاء لأظمأني».

وإذا اكتسى قال: «الحمد لله الذي كساني، ولو شاء لأعراني».

وإذا احتذى قال: «الحمد لله الذي حذاني، ولو شاء لأحفاني».

وإذا قضى حاجته قال: «الحمد لله الذي أخرج مني الأذى، ولو شاء لحبسه في».

وكان عليه السلام يحمد الله على طعامه، وفي كل أحواله، حقًّا ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣].

وصية نوح عليه السلام لابنه قبل موته:

لمَّا حضرت الوفاة نوح عليه السلام قال لابنه: «إني قاص عليك الوصية: آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين:

آمرك بـ لا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو

وُضِعَت في كفَّة ووضعت لا إله إلا الله في كفَّة؛ لرجحت لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كُنَّ في حلقة مبهمة، ختمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، فإن بها صلات كل شيء، وبها يرزق الخلق. وأنهاك عن: الشرك، والكبر»[1].

وتوفي نوح عليه السلام بعدما مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وكان من أولاده (يافث)، ملأ المشرق من الذرية، و(حام) ملأ المغرب من النسل، و(سام) ملأ ما بين ذلك.

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٣/٣٥٨)، والبخاري في «الأدب المفرد»: (٥٤٧).